

الفضيلة بدون دعوة

لحضرة الأستاذ الفاضل الدكتور محمد البهى

مدير عام البحوث والثقافة الإسلامية بالازهر

يظن بعض الناس أن الفضيلة - لأنها فضيلة - لابد أن تشيع بين الناس بدون عناء، ان لم تدفع الناس دفعاً إلى دائرتها ويأسف هذا البعض أشد الأسف عند ما يجد فريقاً كبيراً لا يتبع الفضيلة، ولا يسعى نحو القيم الرفيعة والمثل العليا في حايثه الخاصة والحياة العامة. ولكن الحياة الإنسانية منذ القدم صراع بين شيئين لا ثالث لهما: بين ما يسمى بالحق والفضيلة والمثل العليا من جهة، وما يعرف بالباطل والرديلة من جهة أخرى. وقيمة أي طرف من الطرفين ليست في غلبة أحد الطرفين على الآخر في وقت ما، بل هي قيمة ذاتية لا يؤثر فيها بريق النصر لطرف، ولا مذلة الهزيمة للطرف الآخر.

الفضيلة يعرفها الإنسان وهي موجودة في الحياة. ولكن الإنسان لا يدركها إلا إذا تأمل الحياة كلها، أو وجّه إليها من إنسان سبق له أن تأمل الحياة وأدركها وركن إليها. ولذا هو يدعو لها. ليس كل الناس إذا يعرف الفضيلة - بله يتمسكون بها - لأنها في حاجة إلى كشف فالإنسان العادى أول ما يدرك من الوجود يدرك مظاهره المادية، وهي ليست الفضيلة، بل الفضيلة وراءها. وشأن الإنسان العادى شأن الطفل الذي يجرى وراء المحسوس ويسعى إلى أن يستولى على ما يلفت نظره فيه، ولا يصل إلى ما عدا المحسوس من مبادئ عامة أو قيم إلا بعد تطوره في التفكير والتثقيف. وقلما مع ذلك يصل إلى الحقيقة كما هي إلا بعد عناء الفكر والدرس، أو عن طريق الرسالة الالهية.